"الهدف" تنشر واحدة من اخطر وثائق نضال شعب فلسطين بقلم مقاتل

يوميات معارك الحسين

سبعة ايام دامية وراعبة وبطولية من معارك جبل ومخيم الحسين ، سجلها احد المقاتلين القياديين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يوما اثر يوم ، اسمه الحركي ((باسم)) ، وما تزال اخباره مجهولة حتى الان ويعتبر مفقودا . لقد قام (أ) الذي تقول اليوميات انه استنفر وجاء قبل المعركة ليسكن مع كاتب اليوميات باحضار الاوراق هذه الى مكان أمين بعد ان اجتاحت الدبابات الاردنية مخباهما يوم الجمعة ، أي بعد حوالى ٢٤ ساعة من اللحظة التي توقف فيها كاتب اليوميات عن كتابة يومياته .

تولت ((الهدف)) تجميع الاوراق ، وحذف ما رات انه لا ضرورة له أو يؤثر على معلومات من الافضل ان تظل طي الكتمان .

وفيما عدا ما اقتضته عملية اعادة الكتابة ، فقد ظلت اليوميات محتفظة بروحها الاصلية .

« الهدف »

كتبها في ميدان المعركة

الفيوم "باسم" من ١٦/٩ الى ٢٣/٩

الاربعاء : قال الحاج في الجوقة : "زيتونا الكلاشينات يا شباب" !
١٩٧٠/٩/١٦

■ مخيم الحسين :

الكل يتوقع انفجار العاصفة ، وقد سمعت بنفسي معظم الاذاعات تقول على ألسنه مراسليها ان الهدوء المتوتر الذي يسود عمان هو الهدوء الذي يسبق الاعصار . وطوال اليوم اقول لأصدقائي انني لا أتوقع اي شيء ، وان التوتر الذي يسود الشوارع والناس توتر مفتعل ليس له ما يبرره ، وان الحقيقة انني اعتقد أن ايحاءات الاذاعات التي واصلت منذ الصباح الحديث عن الانفجار المتوقع هي التي جعلت الجو اكثر او يزداد توترا . وعلى اي حال لا اعتقد أن شيئا سيحدث في القريب العاجل ، فالملك بحاجة الى بعض الوقت، وامنا الايام القليلة القادمة لنرى .

اليوم صباحا كانت المدينة ، بعد سماع انباء تشكيل قوة الداوود العسكرية عادية جدا ، ومنذ الظهر بدأت تتوتر بشكل سبب مباشر ، وقد لاحظت ذلك وانا قرب الفيلادلفيا . ذهبت الى مكتب الجبهة عند اول طلعة الجوفه لأستفسر ، فقال لي ((ز.)) هناك انه هو الاخر لا يعتقد بان الانفجار سيقع ، ولكن الحكمة تقضي بان يتصرف المرء وكان الانفجار سيقع بعد لحظة واحدة . وقال لي ((ا)) ان الشباب شاهدوا عدة دبابات تتمركز في امكنة مختلفة على اطراف عمان منذ الصباح ، وقالوا ان طابورا من الاليات الثقيلة يتجه من مادبا الى العاصمة . ان ((ا)) واثق ان ساعات الليل ستكون حاسمة وان الانفجار سيكون كبيرا ، ولكنه اخفق في اقناعي ، ورفض ان يشرح لي لماذا ، وقال لي وهو يضحك : ((مشكلتك انك تستخدم المنطق في تحليل تصرفات اناس لا يتحركون وفق المنطق ، انا اوافق انك منطقي ، ولكني اعرف انهم ليسوا كذلك)) .

وانا خارج من مكتب الجوفه سمعت الحج ، الذي كان يبس بزة مرقطة ، يقول : ((زيتوا الكلاشينات يا شباب)) ، فاجاني صمت المدينة القاسي وفراغها ، كان شيئا قد حدث اثناء وجودي في المكتب .

لم اكن لأستطيع ان اجد سيارة ، فاخذت امشي الى الحسين ، وطوال الطريق فكرت في كل الاحتمالات وانا اتيقن ان القضية قضية عرض عضلات وليس اكثر ، وقد لا تستلزم ذلك خوض معركة على غرار معركة الاسبوع قبل الماضي ، ولكنه بعد فترة اسبوع ربما سيقوم بعمل كبير ، وعندها سيكون معنى لهذه الحكومة .

اما لماذا الحكومة الان وبهذا الشكل ، فقد شرح ((ج)) الذي هو يعرف الخفايا لاتصاله مع عدد من الوزراء ، الاسباب في الصباح ، وقال انه يقال بان الملك وضع يده على مؤامرة تهدف الى اسقاطه وتسليم السلطة لمجموعه ضباط على راسهم مشهور حديثه ، وان هذه المؤامرة كان من المفروض تنفيذها فجر يوم السبت القادم ، وان الملك لم يكن متأكدا كليا من ذلك الا عندما جاء عبد المنعم الرفاعي بعد ظهر امس الثلاثاء الى القصر وقدم استقالة حكومته دون سابق انذار ، والظاهر ان الاخبار التي كانت عند الملك كانت تلمح الى ان بعض وزراء وزارة الرفاعي ، وربما الرفاعي نفسه ، على علم بالمؤامرة ، واخذ الملك يشتم السياسيين بشدة امام الرفاعي .

هذه الرواية (ولا اعرف مدى صدقها) تزيد الاعتقاد عندي بان المسالة ليست كما يقال مسالة ((الجولة الاخيرة)) وعلى اي حال الصباح رباح .

ملاحظة : قبل قليل جاء ((ا)) وقال انه قد استنفر في الحسين وسينام عندي ، وقال ان اخبارا وصلت تقول ان مشهور حديثه قد وضع في الاقامة الجبرية .

الخميس : وفجأة انفجر ابو عمار الحي الطرفي
١٩٧٠/٩/١٧ وصاح : "حتى هم درس يا جماعة" !

لاول مرة تصبح الكتابة اليوم في هذا الدفتر مختلفة ، وهي تشبه النحت في مقبرة ، أو كتابة وصية .

كان اليوم رهيبا ، وقد توترت اعصابنا وتشاجرنا مع بعضنا نتيجة اصوات القصف المتواصل ، ولكن الشباب قاتلوا ببطولة .

ظللت طول النهار في الطريق ، ثم وانا عائد قبل قليل اخذت انظر حوالي ، وبدا لي يوم امس بعيدا بعيدا بعيدا كأنه في خيال رجل آخر ..

شباب الجبهة يملأون المكان ، ومعنويات الجميع ممتازة، ان الجميع معرض لأحد احتمالين يلمسهما معا في كل لحظة : ان يموت او ان ينتصر ، وليس هناك اي شيء آخر .

وقد صادفت في منتصف الطريق ((ا)) ينقل كيسا من القذائف ، وقال ان هذا الشعب سينتصر ، وقال لي : ((هل تعرف ابو حسين ؟ سقطت قنبلة على بيته فدمرته وقتلت زوجته وبنته . ضب زوجته وبنته بالبطانية ، وحمل سلاحه وهو واقف هناك الان)) .

مات الكثيرون اليوم ، وسيكون من المستحيل ان تصمت البنادق غدا .

لقد كنت مستنفرا في الليل ، وذهبت في دورية كان عليها ان تراقب الطريق من ادارة فتح الى مفرق جبل عمان (طريق الدفاع المدني) ، وفي حوالي الساعة الخامسة صباحا قال لنا الرفيق ابو علي ان الدبابات آخذة في التقدم من طريق عين غزال ومنطقة صويلح وهي تتحشد خلف تلال المدينة الرياضية ، وقد بدا الرمي قبل أن ينتهي من كلامه ، ويبدو ان قوهات مدافع الدبابات كانت مصوبة على مكاتب المنظمات سلفا .

وفورا نزل الشباب واخذوا يضربون بالرشاشات عن بعد، ورايت عدة مدافع م/د ـ ربج تهيل حممها بصفير يصم الاذان . تقدير الرفاق ، فيما بعد ، ان خمسين شاحنة محملة بالمشاة تسير وراء حوالى ٤٠ دبابة سنتوريون وباتون وثلاثين مجنزرة ، ثم بدا شباب فتح يضربون بالهاون ، وسكتت الدبابات ١٥ دقيقة ، وفي السادسة تقريبا نزل المشاة واخذوا يقتربون تحت نار الدبابات المتجددة لتطهير المكاتب في الشميساني ، وهي بالترتيب من جهة الطريق : قيادة جيش التحرير ، الكفاح المسلح ، جبهة التحرير ، الهيئة العاملة ، الجبهة الشعبية ، جيش التحرير ، الديمقراطية ، الا ان الهجوم استهدفها معا على درجة واحدة خصوصا وان المدفعية اخذت تقصف عن بعد ، وكانت معظم القذائف تنزل في الكفاح المسلح وقيادة جيش التحرير .

اختلطنا ، وفجاة ضاعت الحدود بين التنظيمات وصرنا نتقابل في الخنادق ووراء الحيطا وعلى اطراف الركام من تنظيمات مختلفة ونعمل معا دون تردد ، وقد انتظرنا حتى اقترب المشاة ، ولا اذكر ان احدا اطلق رصاصة ، ثم انهمرت نيران رشاشاتنا ، وبعد حوالى دقيقتين اخذ المشاة يتراكضون الى الوراء ، وقد ساعدتنا انفجارات قنابل الدبابات والمدفعية على رؤيتهم وضربهم ، وقد تمترسوا وراء الدبابات من جديد .

((يا رفاق انقذونا)) ((انجرحت يا رفاق)) ((قتلني الجيش يا رفاق)) ..

واندفعت الدبابات مثل وحوش عمياء من الفولاذ تخرق الشارع باتجاه دوار مكسيم ، واخلت الديمقراطية مكتب اعلامها الذي يقع بين دوار وزارة الداخلية ودوار مكسيم ، ويبدو ان الصدمة كانت مروعة ، اذ اخذ الرجال ينسحبون امام الدبابات ، وبدا لنا ان المفاجاة فعلت فعلها ، وكادت الفوضى تعم ..

وفجاة حدث شيء نادر : اندفع ابو عمار الى شارع الحسين ، وطلب من المقاتلين الذين كانوا آخذين بالانسحاب زرع الالغام وبناء سدود من السيارات وانابيب الغاز وتنكات البنزين ، وقد ارسل من يحضر سيارته ودفعها بنفسه مع آخرين وسط الطريق . وفجاة دبت روح عالية في الطريق واخذ الرجال يعودون ، وصاح ابو عمار : ((ساعتين بس يا جماعة ، والله حنديهم درس عمرهم ما حينسوه)) !

ومن بين البيوت عاد الشبان مع مدافع آل ربج الى دوار مكسيم ، ولا اعرف ان كان ابو عمار قد عاد معهم ، وقد انقلب دوار مكسيم الى جحيم لا يتصوره عقل ، واخذت تتقهقر بسرعة (كان حجمها كبيرا ، وحين هرولت متراجعة بدت مضحكة) وقد اخلت كل المنطقة وعادت الى مراكزها الصباحية قبل المعركة واخذت تقصف ، من هناك ، البيوت المحيطة بدوار مكسيم حيث لقناهم درسا فريدا .

ووسط الهدوء النسبي تراجعت مع مجموعتي ، وقد شهدت ابو عمار وابو ماهر وابو اياد ونايف حواتمة والدكتور منيف الرزاز وفاروق القدومي ، يخرجون معا من مبنى ((الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة)) ، ثم ما لبثوا ان تفرقوا ، وشاهدت ابو ماهر مع الدكتور الرزاز يسيران معا مشيا على الاقدام ، وحين رآني ابو ماهر ضحك وقال لي : ((يعطيك العافية يخوي . هربوا الـ (...))) .

واعادت الدبابات الكرة في حوالى الواحدة ظهرا ، واتجهت نحو دوار مكسيم من الطرق الموازية للطريق الرئيسية ومن بين البيوت . ووقفت اربع دبابات الى البيت المجاور لمبنى (القيادة العامة ج.ش) وظلت واقفة ١٥ دقيقة دون حراك ، وفجاة انطلقت فجاة قذيفتا ربج من مكان قريب ، والتهمت النار اثنتان ، واخذت الاثنتان الباقيتان تنسحبان على التو وهما تطلقان النار ، وكنا نعرف انهما فوجئتا، وأنهما ستعودان فانسحبنا من المكمن الذي اطلقنا منه القذائف ، وفعلا عادت الدبابتان واطلقتا صواريخهما على البيوت المجاورة ، هدموا واحدا بصورة كاملة واطلقتا صواريخهما على البيوت المجاورة ، هدموا واحدا بصورة كاملة ، وقتل صاحبه تحت الانقاض فيما ظل اطفاله الثلاثة احياء ، وجلسوا على الركام وحدهم ، وكان منظرهم محزنا ، وكنا نشاهدهم دون ان نقدر على الوصول اليهم ، وظلت الدبابات تتقدم ، وهدمت مكتب منظمة فلسطين العربية ودمرت كل السيارات الواقفة هناك مثل وحش اصيب بانهيار عصبي .

واستدارت الدبابتان وعادتا الى قرب مكتب القيادة العامة ، حيث كان الأطفال الثلاثة جالسين مذهولين بنوع من الاغماء الحزين : وفجاة اطل ((ابو حسين)) من وراء الركام مباشرة خلف الاطفال واخذ يناديهم ، ولكنهم لم يلتفتوا اليه ، وأخيرا وصل اليهم فجذب احدهم نحوه، وتناول أيدي الآخرين الصغيرة واختفوا جميعا ، عندها اطلقنا قذيفة واحدة وفورا اخذت النار ، وسط دوي هائل ، تلتهم الدبابة ، وانهال الرصاص من كل صوب ، واخذت الدبابة الاخرى تدور حول نفسها وتطلق النار بجنون على البيوت المحيطة بها ، وحين صارت على مسافة كافية اطلقت حوالى عشرة صواريخ وهدمت بيوتا كثيرة .

في الوقت ذاته اخذ طابور جديد من الدبابات يعود لمحاولة خرق دوار مكسيم ، ولكنه تقهقر من جديد امام المقاومة الضارية ، وتراجعت الدبابات وراء الدوار واتخذت تشكيلا خاصا واخذت تضرب الطريق العام (طريق الحسين) شبرا شبرا بالمدفعية كي تدمر الحواجز وتفجر الالغام المزروعة .

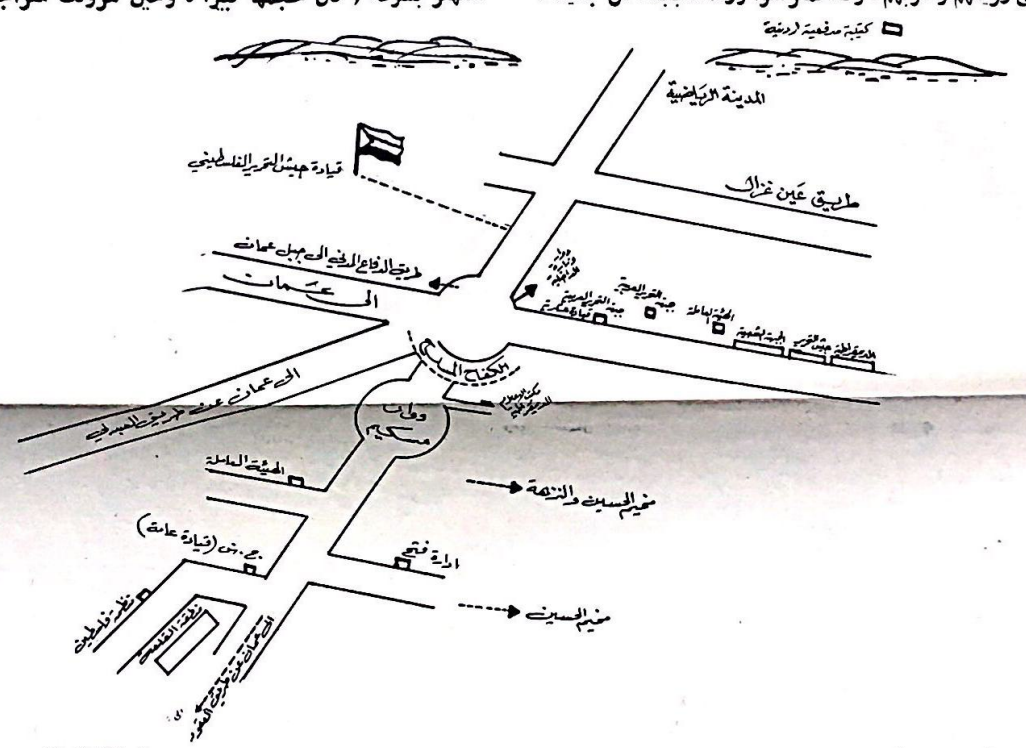

تخطيط تقريبي للمنطقة التي تتحدث عنها اليوميات ، ولا شك ان متابعة اليوميات على ضوء العلامات في هذه الخارطة يعطي صورة دقيقة للمعارك التي شهدها جبل الحسين ، كما تصفها اليوميات في هذه الصفحة .

في السابعة صباحا كان رجال افراد الحراسة التابعون لقيادة جيش التحرير في الشميساني يدافعون عن مكتب القيادة باستبسال لم ار مثيله ، وقد دمرت معظم جدران المكتب من الدبابات التي طوقته على بعد يسير ، ولم نر احدا يفر الى أن انسحبوا جميعا من الركام ، وكان الضباط معهم .

حوالي الثامنة انتهت ذخيرة ب ـ ١٠ م/د الموجود لدى جبهة التحرير العربية ، واتضح انفتاح ثغرة ، ثم بدا جيش التحرير يقصف بمدافع الهاون ، واطلقنا نحن لأول مرة من غرينوف ، واطلق رجال فتح عدة مدافع دوشكا توقفت الدبابات ولم نفهم لماذا الا حين اخذت المدفعية تقصفنا مجددا بكثافة ، ويبدو ان هذا القصف ادى الى تدمير عدة رشاشات ثقيلة للجبهة العربية ، وانتهى ما كان لديهم من قذائف هاون : من الواضح ان المدفعية الاردنية تركز قصفها على مركز الكفاح المسلح ولكن معظم القذائف نزلت على مكتب الجبهة العربية وهو اقرب المكاتب لمركز الكفاح المسلح .

كنت مع رجلين من فتح وواحد من الجبهة وواحد من الديمقراطية حين اخذت الدبابات تتقدم وكانها تلال حديدية متحركة ، لم نعهد في عمرنا هذه الكثافة الرهيبة في النار . لقد كان الرشاش الثقيل التابع للديمقراطية صامتا بسبب عدم توفر الذخيرة ، وفوت هذا علينا اصطياد المشاة الذين كانوا يستخدمون الطيات الارضية المتوفرة بكثرة في تلك المنطقة . وفي الساعة الثامنة و ٤٠ دقيقة هدمت قذائف الدبابات مكتب الجبهة وسوته بالارض ، وانسحب مجموع رجال الهيئة العاملة الى الخلف ، وظل الكثيرون متمركزين حتى وصلت الدبابات الى دوار وزارة الداخلية وتمركزت هناك وصارت عمليا خلف مكاتب المقاومة .

وفي التاسعة والربع تقريبا توقفت الدبابات عن القصف، واخذت تستخدم الرشاشات فحسب فيما مضت تستكمل ضرب الطوق حول المكاتب ، عندها انسحبنا جميعا الى الوراء وتركناها تطبق على هواء يعبق برائحة البارود والغبار .

اعتقد اننا فقدنا حتى العاشرة حوالى ٢٠ قتيلا و ٣٠ جريحا ، وقلنا لبعضنا ان المعركة قد بدأت الان . لقد احتلت الدبابات خطا امامنا لا قيمة له ، وعليها كي تتقدم ان تشتبك معنا كل شبر . ومن الواضح ان الشباب كانوا في كل مكان ، وقريبين جدا من الدبابات العمياء وبالفعل حين اخذت الدبابات تتقدم ، اشتبكنا معها ، وفجاة حدث ما لم يكن في حسابنا : اخذت مدفعية الدبابات وقذائفها تفتك بالبيوت فتكا اعتباطيا وحشيا دونما تمييز ، وكان المنظر مروعا وبعث فينا الشلل ، كانت الدور تسقط ، وكنا فجاة نرى بين الركام غير المنتظر اشياء الناس الخاصة والصغيرة ـ ولكن الحميمة ـ ممزقة واحيانا دامية .. ووسط ذلك الجحيم اخذنا نسمع اصواتا :

اذا كانت الامور نسبية ، حتى فيما يتعلق بموت الناس دون حساب ، فقد كان اليوم افضل من امس : وصلت منذ الصباح عناصر جديدة من قوات التحرير ورجال فتح ، وبعثت الجبهة بتعزيزات وذخيرة ، ووصل متطوع من حلب لست ادري كيف وجدناه بيننا وقال انه يريد ان يقاتل .

امضينا طوال النهار نزرع الالغام في كل شوارع الجبل ، واكاد اقول اننا انشانا جحيما خاصا تحت جحيم الدبابات ، وحين تقدمت عند الظهر ارتدت على اعقابها ، وعادت الى دوار وزارة الداخلية .

ومن هناك اخذت تقصف دون هوادة . مزيدا من الموت .

عند الظهر قال لي ((الحلبي)) ، كما دعوناه : ((هالعرب ساكتين حتى الان ، خايفلك الطبخة تكون جماعية)) واعترف انني شعرت بخوف فريد من نوعه ، كان يدا اطبقت على عنقي في مكان مظلم .

الاثنين : تسادت الاشياء بصورة غريبة : الماء والرصاص والخبز والنوم والموت !
١٩٧٠/٩/٢١

لم استطع ان اكتب امس ، ولكن الدبابات ما تزال خارج خطوطنا ، وقد بدانا نتساءل عن نهاية ذلك كله . اننا واقفون الان لليوم الخامس .

امس اعتقلوا عددا من اعضاء اللجنة المركزية ، وقد دارت معركة ضارية حول مكتب ((فتح)) ، وكان محصنا جدا ، وقد هدمت المدفعية كل الدور المحيطة به ، وقصفت دون هوادة كل شبر في المنطقة الواقعة بين مخيم الحسين والجبل ، حيث يوجد معسكر لاشبال الجبهة الديمقراطية .

تروى قصص مختلفة عن اعتقال الاخوان من اعضاء اللجنة المركزية ، احدى هذه القصص تقول ان الذي فضح مكان وجودهم مخابرة هاتفية اجراها رئيس هيئة الاركان

ـ البقية على الصفحة ٤ ـ

الجمعة : يا الهي كم من الاشياء يتعلمها الانسان ! هذه الاصابع تكتب وتطلق وتدفن الموتى !
١٩٧٠/٩/١٨

مرة اخرى اليوم جعلناهم يعودون من حيث اتوا ، وقد انتهى النهار دون ان يستطيعوا خرق دوار مكسيم الذي تحول الى مرآب مليء بالفولاذ المحروق .

كان القصف مرعبا اليوم ، وانهالت القنابل على المخيم الاعاجز عن حمايه نفسه من هذا الموت الهابط من الفضاء .

ابرز ما حدث اليوم ان مكبرات الصوت استخدمت لدعوة الفدائيين للاستسلام ، وقد انهال الرصاص بصورة اخرست ذلك الصوت البشع ، وحين تقدمت الدبابات عند الظهر ، تخفي وراءها جنود المشاة ، كان عليها مرة اخرى ان تتوقف امام دوار مكسيم ، ثم بدات بالتراجع .

لدي شعور بان هذه المعركة معركة طويلة جدا ، وقد قال لي ((ز)) اليوم ان لدينا من الذخيرة ما يكفي لقتال يمكن ان يمتد ثلاثة شهور ، اما الطعام فقال انه يكفي الان ، ولكنه طلب ان نفكر بخطة للحصول على المزيد منه اذا استلزم الامر .

((ق)) كان خائفا اليوم ، وقد شعرت بالحزن حين رايته يخجل من نفسه عندما اكتشفنا انه يمضي نهاره مختبئا ، وقد فكرت فجاة في معنى الشجاعة ، ومعنى الجبن ، واعتقد التي ساكتب فيما بعد عن هذه الكلمات الفذة التي لا معنى لها ، والتي نستخدمها لوصف مشاعرنا في موقف ما ، ولكن بعد خروجنا منه ..

انا اليوم متعب جدا ، ولا اعرف ماذا يجري في بقية عمان او باقي المدن . لا اعرف ماذا يحدث للرفاق . والان ، وانا انظر لأصابعي تكتب على ضوء الكاز اتساءل : كم من الاشياء يتعلمها الانسان ! فهذه الاصابع التي تكتب الان كانت طوال النهار تشد على الزناد ، وتحصي الطلقات مثلما كان اجدادنا يحصون البيض ايام المجاعة ، وتنقل الجثث ، وتحفر القبور الجماعية ، وتربت على اكتاف الاطفال الخائفين ..

قتل قليل اهلنا التراب على مجموعة من الشهداء . انهم يتعانقون تحت الارض في حب لانهائي ، صاعق ، ولا ينفصم ، ذلك هو كما يبدو لي قدر التحام الفقراء المضطهدين الذين يقاتلون من اجل حصتهم في هذا العالم .

السبت : .. وزرعنا تحت جحيم الدبابات جحيما خاصا نسطر عليه ..
١٩٧٠/٩/١٩

لم استطع ان اكتب امس ، ولكن الدبابات ما تزال خارج خطوطنا ، وقد بدانا نتساءل عن نهاية ذلك كله . اننا واقفون الان لليوم الخامس .

امس اعتقلوا عددا من اعضاء اللجنة المركزية ، وقد دارت معركة ضارية حول مكتب ((فتح)) ، وكان محصنا جدا ، وقد هدمت المدفعية كل الدور المحيطة به ، وقصفت دون هوادة كل شبر في المنطقة الواقعة بين مخيم الحسين والجبل ، حيث يوجد معسكر لاشبال الجبهة الديمقراطية .

تروى قصص مختلفة عن اعتقال الاخوان من اعضاء اللجنة المركزية ، احدى هذه القصص تقول ان الذي فضح مكان وجودهم مخابرة هاتفية اجراها رئيس هيئة الاركان

ـ البقية على الصفحة ٤ ـ